

علماء وأعلام

العلامة السيد

محسن الأمين العاملي



■ ولادته ونسبه

هو السيد محسن بن عبد الكريم العاملي ولد سنة ١٢٨٤ هـ في أسرة عريقة تنتمي إلى أهل البيت عليه في قرية شقرا من جبل عامل في لبنان، وأمه بنت الشيخ محمد حسن فليحة الميسي وكان من علماء عصره الصالحين. يعود نسبه إلى حسين ذو الدمعة ابن زيد الشهيد.

■ دراساته وأساتذته

أكمل السيد الأمين دراسات المقدمات الحوزوية في مسقط رأسه شقرا في جبل عامل حيث أتم هناك المنطق، والنحو والبيان ثم انتهل في بنت جُبيل من محضر أستاذه الشيخ موسى شراره.

في سنة ١٣٠٨ هـ هاجر إلى النجف الأشرف واستقر به المكان هناك سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م فانتهل من محضر كبار العلماء من قبيل الشيخ محمد طه نجف، والحاج رضا الهمداني، والأخوند الخراساني. كما حضر درس الشيخ محمد باقر نجم آبادي والسيد أحمد الكربلائي في مرحلتي السطح وخارج الفقه والأصول ونال هناك درجة الاجتهاد كما ساهم في تربية جملة من التلاميذ وطلاب العلوم الدينية. كان له اليد الطولى في الأدب فقد كان شاعرا وناقدًا شعرياً قديرًا، فضلاً عن كفاءته العلمية في مجال العلوم الحوزوية.

■ من تلامذته

السيد حسن ابن عمه السيد محمود، السيد مهدي ابن السيد حسن آل ابراهيم الحسيني العاملي، الشيخ منير عسيران، السيد أمين ابن السيد علي احمد الحسيني العاملي، الشيخ علي بن الشيخ محمد مروه العاملي الحائثي.

■ نشاطاته الثقافية وأسفاره العلمية

تحدث السيد الأمين كما أورد في كتابه الرحيق المختوم عن سبب هجرته إلى دمشق، فذكر هناك أنه كان يهدف من الهجرة إلى إحياء ونشر المعارف الدينية، وإصلاح السنن التي كان يظنها مخالفة للشرع والعقل. واستمر في هذه المنهجية لأكثر من نصف قرن، حيث قام بجهود حثيثة وكبيرة في سبيل ترسيخ الوعي العلمي والثقافي. التحق في سنة ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢ م بالمجمع العربي العلمي في دمشق، واستمر نشاطه فيه إلى نهاية عمره، كما قام بتأسيس مدارس الشباب الشيعة وذلك بهدف ترسيخ الثقافة الشيعية بين شباب الطائفة الإمامية وقد أقدم هو بالذات على تأليف بعض الكتب الدراسية لهذه المدارس.

هاجر الأمين إلى بلدان مختلفة كسوريا، والأردن، وفلسطين، ومصر، والعراق، وإيران بهدف جمع مصادر التحقيق والتأليف.

■ تأليفاته وآثاره

أعيان الشيعة، كتاب "حق اليقين في لزوم التأليف بين المسلمين" وقد ألف هذا الكتاب للتوفيق بين المسلمين وتوحيد رؤاهم، كتاب "كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب" في الرد على الوهابية ونقد أفكارها، كتاب "أواعج الاشجان في مقتل الحسينعليه السلام" تطرق فيه إلى تاريخ واقعة عاشوراء، كتاب "التنزيه لأعمال الشبيه".

■ شخصيته وخصائصه العلمية

يعد السيد الأمين عالما شجاعا في طرحه ونقده، فقد وقف موقفا قويا في عملية تصحيح مسار إقامة العزاء في ذكرى استشهاد الإمام الحسينعليه السلام، مما جعله عرضة لمواقف متشددة من قبل البعض حيث عرضته لظطن والتهام، ومما يمكن ملاحظته في حياة السيد الأمين العلمية خصوصيتي النقد لبعض المذاهب والاتجاهات، وفي الوقت عينه، العمل على ترسيخ حالة الوحدة بين المسلمين. فقد دون أثارا في الرد على الوهابية من قبيل "كشف الارتياح" و"العقود الدرية"، ولكنه كتب أيضا كتابا يدعو فيه إلى توحيد المسلمين وضرورة تعاضدهم أسماء "حق اليقين في لزوم التأليف بين المسلمين".

■ وفاته

توفي السيد محسن الأمين سنة ١٣٧١ هـ في مدينة دمشق، ووري الثرى في حوالي طرف الجنوب الشرقي، مقابل الباب الكبير لمرقد السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها بمدينة دمشق.

مقالة / الجزء الأول

تأثير الدين الإسلامي على الصحة النفسية

• الشيخ محمد عز الدين

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ المقدمة

في خضم التحولات السريعة والضغوط المتزايدة التي تشهدها الحياة المعاصرة، تتنامى الحاجة إلى قوة روحية توفر للإنسان الدعم اللازم لمواجهة هذه التحديات النفسية. الدين الإسلامي، بمنظومته العميقة والمتكاملة، لا يمثل فقط طوق نجاة روحاني، بل يعد منبعًا لا ينضب للسلام الداخلي والاتزان النفسي. إن قدرة الإسلام على تقديم رؤية شاملة للوجود الإنساني تتجاوز الحدود المادية، وتغوص في أعماق الروح، تميزه كدين يتعامل مع الإنسان ككيان متكامل، يسعى لتحقيق التناغم بين الجسد والروح.

إن تزايد الضغوط النفسية، والاكتئاب، والقلق في العصر الحديث، يستدعي العودة إلى الجذور الروحية للإنسان، والتي تجد في الإسلام ملاذًا قويًا وثابتًا. هذا الدين، بتعاليمه السمحة والمحفزة على التأمل والتفكير، يضع أساسًا قويًا لتحسين الصحة النفسية. الإسلام لا يعالج فقط الأعراض الظاهرة للاضطرابات النفسية، بل يقدم حلولًا جذرية تعالج أسباب هذه الاضطرابات من خلال تعزيز الإيمان ومنع العبثية الوجودية، وزرع الأمل، وبث الطمأنينة في النفس البشرية.

الأساليب الدينية التي تخفف، تساهم وتزيد في صحة الإنسان النفسية نحو الأحسن وهي: الدين، لا يقتصر على كونه مجرد مجموعة من الشعائر والممارسات، بل هو في جوهره يقدم معنى وهدفًا أعمق للحياة، فيرفع من قدرة الإنسان على التحمل والصمود أمام تحدياتها فيبث فيه روح الهدفية، ويمحي روح العبثية، وبالتالي يغذي كينونة الإنسان ويشبع حنين وجوده، ويضفي على يومه المكرر الروتيني معنى مقدس يستدرجه نحو الأسمى والأعلى. هذا المعنى العميق يعزز من رفض العبثية والفراغ الوجودي والحيرة والقلق واضطرابات ما بعد الصدمة، ناهيك عن حالات الخوف والقلق من كل أصغر تهديد.

تساهم المعرفة الدينية، بمعناها الشامل، في العلاج المعرفي السلوكي الديني، والذي يعالج الأسئلة الوجودية الملحة التي تطرح نفسها على الإنسان مهما كانت ظروفه الحياتية. فالإنسان يتساءل دومًا عن مصيره، ومآله، وغاية وجوده. وفي ظل الحياة المعاصرة المليئة بالصعوبات والضغوط، يجد الإنسان نفسه محاطًا بمخاوف وأحزان متعددة، متسائلًا عن المعنى الأعظم وراء هذه المحن، هل الغاية من الحياة هي السعي الدؤوب نحو المال، أو

العمل المتواصل دون نهاية، أو تحقيق منصب معين، أو التورط في دوامة الروتين اليومي القاتل؟ بالطبع لا. الإجابة تأتي من خلال النصوص الدينية التي توضح أن الإنسان خُلق لغاية سامية تتجاوز الماديات، وهي القرب من الله والسعي لمعرفته والعيش وفق تعاليمه. كما توضح الآية الكريمة: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، وهذه الآية تشير إلى أن الحياة والموت هما ابتلاء واختبار للإنسان ليظهر من يحسن العمل. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، الذي يبين أن الغاية الأساسية من خلق الإنسان والجن هي عبادة الله؛ أي معرفة الله بأسمائه وصفاته. مقتضيات حكمته تقود الإنسان إلى الراحة والزهد وتخفيف تقاغم الآمه وأحزانه، مما يغير نظراته إلى الدنيا ويجعله يدرك أن هذه الحياة ليست الغاية المطلقة، بل هي مجرد مرحلة تمهيدية لعالم آخر. في هذا العالم الآخر، يسعى الإنسان إلى تحقيق كماله المنشود ومكمن سعادته الحقيقية، إذا كان من أهل العبادة والطاعة، هذه النظرة العميقة تجعل من الدين ليس فقط مرشدًا روحيًا، بل أيضًا أداة قوية للعلاج النفسي والاجتماعي، مما يوفر للإنسان راحة البال والطمأنينة في خضم تقلبات الحياة ومضاعبها.

تحريم بعض الأفعال التي عادةً تجر مفاصد كحرمة السرقة، المخدرات، القمار والكذب والغيبة والفحش في القول، فخلال تتبع الغارقين في هذه المكاره نستنتج الكم الهائل من التوتر، والكآبة، والأمراض النفسية التي تخرب حياتهم وحياة المحيطين بهم، فالدين من منافعه منع تفشي وتفاقم آثار هذه القبائح عبر تحجيرها وتحريمها من البداية، فتحريم بعض الأفعال التي تعود بمفاصد مثل السرقة، المخدرات، القمار، الكذب، الغيبة، والفحش في القول، له أساس قوي في الشريعة الإسلامية التي تسعى إلى حماية الأفراد والمجتمعات من التدهور النفسي والأخلاقي.

عند متابعة حالات الأشخاص المتورطين في هذه الآثام، نلاحظ الكم الهائل من التوتر، والاكتئاب، والأمراض النفسية التي تدمر حياتهم وحياة من حولهم. فالدين بحكمته يسعى لمنع تفشي وتفاقم آثار هذه القبائح عبر تحجيرها وتحريمها من البداية.

■ تحريم المخدرات

يحرم الإسلام كل ما يذهب بالعقل ويضر بالصحة الجسدية والنفسية. روي عن الإمام الصادق عليه: "كل ما أذهب العقل حرام، وإن قليل ما أسكر

كثيره حرام".

النهي عن المخدرات يحمي الفرد من الوقوع في برائن الإدمان والتدهور النفسي، ويقي المجتمع من التفكك وانتشار الجريمة.

■ تحريم القمار

القمار يؤدي إلى هدر الأموال ويزرع العداوة والبغضاء بين الناس. قال أحدهم للإمام الصادق عليه: "الصبيان يلعبون بالجوز والبيض ويقامرون؟ فقال عليه: لا تأكل منه، فإنه حرام".

■ تحريم الكذب والغيبة

يشجعان على الفتن والتفكك الاجتماعي، ويعزز الانفلات والفجور. يقول الإمام علي عليه: "إياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار". ويقول الإمام الصادق عليه: "الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه".

■ تحريم الفحش في القول والعمل الفحش في القول يؤدي إلى نشر الفساد الأخلاقي.

عن الرسول الأكرم عليه: ألا أخبركم بأبعدكم مني شبهًا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الفاحش المتفحش البذيء.

فالفحش في القول والعمل موجب لتفكك العلاقات، وخلق عداوة بين المؤمنين عبر زيادة الحقد وتأجيج نيران النزاع ويلحقها حكمًا بالنيمة، والبخل والاختلاط المذموم دينيًا واجتماعيًا.

إن تحريم هذه الأفعال وغيرها في الشريعة الإسلامية ليس فقط لحفظ الفرد من الوقوع في الإثم، بل يهدف أيضًا إلى الحفاظ على المجتمع بأسره من التفكك والانحدار، نحو هاوية الفساد والتدهور النفسي. وبهذا يتبين أن الشريعة الإسلامية بحكمتها وعمقها تسعى دائمًا إلى تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع من خلال الوقاية من الشرور والقبائح من البداية.

تأثير السنن التشريعية على السنن الكونية: مثل الصدقة والدعاء وصلة الأرحام والتوسل بزيارات مقامات الأولياء، فثبت بالدليل القرآني والروائي سيطرتهم على الأسباب الخارجية للأمور فيندفع البلاء بها ويزيد رزق المحتاج بها، ويصل مستعمل هذه الوسائل إلى غاياته وفوق كل هذه المغريات المادية يربح الأجر والثواب، ويتلذذ بمقام القرب وطلب الحاجة من ربه، وما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَغِبُّ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾.

■ بعض الروايات الشريفة:

عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه يقول: الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبرامًا، فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله عز وجل إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه قال: قال لي: يا ميسر ادع ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه. إن عند الله عز وجل منزلة لا تتال إلا بمسألة، ولو أن عبدًا سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئًا فسل تعط، يا ميسر إنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه.

وأخيرًا، نلاحظ كيف أن الدعاء والتنبه لموجباته كالإلحاح والزمان والمكان المناسب، ويتوسل بخصوص أدعية أهل البيت عليه كدعاء المشلول، دعاء الإمام زين العابدين لقضاء الحوائج، والعديد موجودة في المصادر المناسبة، فله دور جذري في تدليل الأسباب المادية، تخفيف صعوبات الحياة، ورفع منسوب الأمل والتفاؤل، وطرد العديد من الأمراض السوساوسية.

■ التأسي بالقودة الصالحة، تذكر مصائب قديمة واعتبار بلاء الآخرين.

الأنبياء والأئمة والعلماء الأفذاذ تعرضوا لأصعب الشدائد، فصبروا وانتصروا، مما يجعلهم قدوة ملهمة لمن يتأثر بالتضحيات والبطولات، ثبات الإمام الحسين عليه وصبره في مواجهة الظلم والطغيان جعله قدوة عظيمة للأجيال القادمة، حيث لا تزال ذكراه تحيي معاني العزة والكرامة والإصرار على الحق، مهما كانت التضحيات. يعدّ الإمام الحسين عليه نموذجًا للتضحية في سبيل المبادئ السامية، والتأكيد على أن الحق ينتصر في النهاية، حتى لو بدا ذلك بعد زمن.

وورد في القرآن الكريم في سورة ص، الآيات ٤١-٤٢:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَيُّوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْجُصْ بِرَبِّكَ ۖ هَٰذَا مُفْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخَذْ بِيَدِكَ ضَغْثًا فَاضْرِب بِهِ ۚ وَلَا تَخَنْتْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالِرًا ۖ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

يعتبر النبي أيوب عليه مثالًا بارزًا للصبر والثبات في وجه الشدائد. فقد ابتلي في ماله وولده وصحته، واستمر في ذكر الله والاعتصام بحبل الصبر. وبعد أن اجتاز هذه الابتلاءات بصبر وإيمان، كافأه الله تعالى بإعادة الصحة له وزيادة في النعم. هذا الصبر والثبات جعل من النبي أيوب قدوة

عظيمة للمؤمنين في كيفية مواجهة الصعاب بإيمان ويقين، فعندما يبتلى المؤمن يتذكر قدرة ربه الذي قد يغير أحواله سريعًا، ويقيس نفسه ويصغر بلاؤه بالذين تعرضوا لبلاء أكبر، ويتذكر كيف إن الله ساعده كثيرًا في شدائده السابقة، مثل هذه القصص والعبر تلهم المؤمنين بضرورة التأسي بالأنبياء والأئمة في مواجهة التحديات والشدائد، والثبات على الحق والإيمان رغم كل الصعاب. تزكية النفس وتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل يمثلان جوهر التجربة الروحية في الإسلام، وهو موضوع تناولته نصوص القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليه بتفصيل وعناية، لكونه مرتبطًا بشكل وثيق بتحقيق السعادة الحقيقية والاتزان النفسي العميق. هذه المفاهيم ليست مجرد توجهيات أخلاقية، بل هي قواعد أساسية للوصول إلى الصحة النفسية المثلى، حيث إن تزكية النفس تعمل على تهذيب الجوانب الداخلية للإنسان، مما ينعكس إيجابيًا على حياته اليومية وعلاقاته بالآخرين.

يضع القرآن الكريم تزكية النفس في قلب الطريق نحو الفلاح الإنساني. قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

يشير إلى أن نجاح الإنسان وسعادته الحقيقية مرهونان بقدرفته على تهذيب نفسه وتطهيرها. الفلاح هنا لا يقتصر على النجاح الدنيوي، بل يمتد ليشمل السلام الداخلي والاستقرار النفسي. تزكية النفس هي عملية تطهير مستمرة، تنقل الإنسان من حالة الفوضى الداخلية التي يسببها الانغماس في الشهوات والغرائز، إلى حالة من التوازن والطمأنينة التي تنبع من الانسجام مع القيم الإلهية.

■ الأحاديث النبوية وأهل البيت عليه: إشارات إلى العمق الروحي وأثره النفسي

تعمق أحاديث أهل البيت عليه فهمنا لأهمية تزكية النفس. على سبيل المثال، قول الإمام علي عليه: "إنما هي نفسي أروضاها بالتقوى لتأتي أمنة يوم الخوف الأكبر".

يمثل هذا الحديث إشارة واضحة إلى أن التزكية هي جهاد داخلي، يهدف إلى إعداد النفس للقاء الله بسلام، وهو ما يعزز الاستقرار النفسي في الحياة الدنيا. هذا النوع من الترويض النفسي الذي يركز على تقوى الله والامتناع عن المعاصي، يساهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على مواجهة تحديات الحياة دون اضطراب داخلي.

تتابع

المصدر: المعارف الحكيمة